مقومات المنظور التداولي في الفكر اللغوي المعاصر

_ دراسة تحليلية لكتاب" النظرية التّداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة "_

أ.د عبد الناصر بن طناش

د. هاجر بوفريوة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة

الملخص باللغة العربيّة:

تشكل التداولية منهجا عمليا في التحليل اللغوي القائم على جملة من العناصر اللغوية وغير اللغوية، الغرض منها بالدرجة الأولى بيان المعنى وتوضيحه، وقد أثر البعد التداولي على الدراسات النحوي المعاصرة، وأسهم في تطورها وإزالة اللثام عن جوانب أغفلها الفكر اللساني وتجنب الإشارة إليها، حيث رصدنا ربط مدرسة (براغ) اللغة بالحقائق الخارجية، في حين اعتبرها (فيرث) جزء من المنظومة الاجتماعية، وانطلق أتباع (النحو النظامي) في تقسيمهم لعناصر التركيب اللغوي من القيمة الوظيفية التي تحملها العلامات اللغوية، والمستمدة من الحقائق الخارجية المحيطة بالتركيب، لتتعدد مستويات التحليل اللغوي من منظور النحو الوظيفي، بميل لكفة المستوى التداولي.

أمّا تصنيف النحاة العرب المحدثين وتقسيمهم لعناصر التركيب اللغوي فقد قام على أساس وظيفي محدد، يتجسد من خلال تأكيد قيمة الوظائف التداولية الّتي تبرز في أعمال (أحمد المتوكل)، وربط المقال التركيبي بالمقام السياقي عند البحث في معنى ومبنى اللغة لدى (تمام حسان)، ومحاولة (جعفر دك الباب) التجديد في باب التحليل الوظيفي انطلاقا من دراسته لأقسام الجملة وأنماطها، منتفعين في تحليلهم للتراكيب اللغوية _في كثير من الأحيان_ من التراث العربي.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Pragmatics constitutes a practical approach in linguistic analysis based on a number of linguistic and non-linguistic elements, the purpose of which is primarily to clarify and clarify the meaning. The (Prague) school taught language with external facts, while (Firth) considered it a part of the social system. Functional grammar perspective, leaning toward the deliberative level.

As for the classification of modern Arab grammarians and their division into the elements of linguistic structure, it was based on a specific functional basis, which is embodied by emphasizing the value of pragmatic functions that emerge in the works of (Ahmed Al-Mutawakel), and linking the synthetic article with the contextual position when searching for the meaning and structure of the language of (Tamam Hassan), and trying (Jaafar Dek Al-Bab) Renewal in the section of functional analysis based on his study of sentence divisions and patterns, benefiting from their analysis of linguistic structures -often- from the Arab heritage.

مقدمة:

لكلّ لغة طبيعتها اللّسانيّة وسماتها الّتي تطبع نظامها الصوتيّ والتركيبيّ والدلاليّ، حيث تمتاز بالتفرد على مستوى نسقها وكيفية استعمالها لبلوغ مقاصد معينة، وعلى اختلاف اللّغات وتنوع أصولها وبنياتها، فإنّها تتقاطع في بعض النقاط الجوهرية، أبرزها أنّ استثمار أي لغة وتوظيفها الغرض منه بالدرجة الأولى تحقيق التّواصل بين مستعمليها، ولا يمكن أن ينكر الإنسان قيمة ودور التّواصل في حياته اليومية، حيث يعدّ من أبرز التقنيات الإجرائية الّتي أسهمت في فهم الإنسان للظواهر من حوله، والتّعرف على تجارب الأفراد وأفكارهم ومنطلقاتهم ومشاعرهم، ليجسد التواصل بذلك التفاعل الاجتماعي.

وقد أفرز الاهتمام بالاتجاه الوظيفي التّواصلي وتفعيل دور البعد اللّغويّ ووظائفه، والتركيز على الجانب الاستعمالي والإنجازي للكلام، ظهور تيار أو فرع علمي في الدراسات اللّسانيّة الحديثة يعرف بالتيار التداوليّ، الّذي أضحى مجالاً خصبا يتمحور حول قضايا لغوية جوهرية، لذلك حظي الدرس التّداولي باهتمام الدارسين في الفكر الغربيّ، وانتقلت موجة العناية باللّغة أثناء الاستعمال إلى الفكر العربيّ، للتعرف على أبرز سمات ومبادئ الدرس التداولي، وكيفية توظيفها لخدمة الفكر اللغوي الحديث والمعاصر.

ووفقا لهذا المنظور تأتي الدراسة الموسومة بـ "مقومات المنظور التداولي في الفكر اللغوي المعاصر "_ دراسة تحليلية لكتاب" النظرية التّداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة "_ للوقوف على مدى تفعيل دور البعد التداولي للارتقاء بالفكر اللغوي المعاصر، والإجابة على جملة من الإشكالات يتقدمها: هل أسهمت التداولية في ضبط الفكر النحوي المعاصر؟ وما الأثر الّذي تركته التّداولية على الدراسات العربية والغربية الحديثة؟ هل الجنوح إلى الفكر التداولي يعني بالضرورة تغيير القواعد النحوية العربيّة؟ كيف يمكن استثمار التداولية لفهم وتيسير التحليل النحوي؟

قسم (أحمد فهد صالح شاهين) كتاب (النظرية التّداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة) إلى ثلاثة فصول، خصص الفصل الأول للتعريف بالنظرية التداولية وصلتها بالعلوم اللغوية، وتناول في الفصل الثاني ملامح التفكير التداولي

في الفكر البلاغي القديم، وجاء الفصل الثالث لتتبع ممارسة التداولية لدى النحويين ومعالجتهم للتراكيب اللغوية من منظور تداولي، وعلى الرغم من الحجم المتوسط الّذي ميز هذا الكتاب إلاّ أننا لن نتمكن من الوقوف على الأفكار الواردة في هذه الفصول، ولتحقيق الأهداف المتوخاة من هذه المداخلة سنكتفي بتحليل أبرز المحطات الّتي ميزت الفصل الثالث.

1 أثر النظرية التداولية في الدراسات الغربية:

ليتمكن مؤلف كتاب (النظرية التّداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة) من الوقوف على أثر الفكر التداولي على الدراسات الغربية اختار مدرسة (براغ) ومدرسة (لندن) والنحويون الجدد، وفيما يأتي نحاول التعرف كيفية استثمار أعلام هذه المدارس للبعد التداولي بغية تحليل التراكيب اللغوية:

1.1 مدرسة براغ:

سعت مدرسة براغ إلى كشف المعنى التّداولي للتراكيب اللّغويّة، وذلك من خلال دراسة اللّغة في إطار وظيفي، فكانوا يحللون اللّغة من خلال وجهة نظر تهدف إلى تبيان الوظائف الخاصة الّتي تؤديها الأبنية، بربط بنية التركيب بالحقائق الخارجية، لذلك نادى أتباع هذه المدرسة، وعلى رأسهم (ماثسيوس) و(جان فرياس) بما يسمى "المنظور الوظيفي للجملة"، الّذي يهدف إلى توضيح وظائف التراكيب المختلفة في أداء المعنى لتحقيق عملية التواصل، وذلك من خلال الربط بين اللّغة وطرق صياغة الجمل المعبرة عن الأفكار، بما يتلاءم وأحوال المقام، كما ارتبط المعنى لدى أتباع هذه المدرسة بمستويات لغوية أخرى كالمستوى التركيبي والدلالي والأسلوبي[1]؛ وهذا يدل على تركيزهم على المقام والظروف الخارجية دون إغفال البنية الداخلية للتركيب بمختلف مستوياتها لأداء المعنى وتحقيق التواصل الفعال بين مستعملي اللغة.

تتكون الجملة في اللغة العربية من ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، حيث تنتج الجملة الاسمية عن اتحاد عنصرين (اسم+ اسم) أمّا الجملة الفعلية فتتكون من (فعل+ اسم)، ويمكن لنا أن نرى مقومات المنهج التداولي لدى أتباع مدرسة براغ من خلال تقسيمهم الجملة إلى قسمين: مسند ومسند إليه، يتقدم أحدهما على الآخر بحسب الغاية والهدف الكامن لدى المرسل، فقد تنزاح الجملة الاسمية والفعلية عن أصل وضعها وعن رتبتها التركيبية، فيتقدم الخبر على المبتدأ، والفاعل على الفعل، أو المفعول به على الفاعل، ويكون ذلك لدوافع وأسباب سياقية يفرضها عليها ظروف الخطاب، ولتوضيح وجهة نظر مدرسة براغ نورد المثالين التاليين:

[1] _ أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015م، ص 85.

ـ وصل الوفد الرياضي الصيني إلى البلاد ليلة أمس.

المسند والمسند إليه ، جوابا للسؤال: من وصل إلى البلاد ليلة أمس ؟

ـ الوفد الرياضي الصيني وصل إلى البلاد أمس.

المسند إليه المسند ، جوابا للسؤال: أي وفد وصل إلى البلاد ليلة أمس؟.

ففي المثالين السابقين اختلف ترتيب عناصر الجملة "السياق الداخلي" بين التقديم والتأخير للمسند والمسند إليه، مراعيا بذلك البعد الخارجي؛ أي سياق الحدث الكلامي وما يملكه المرسل إليه من معلومات يشارك فيها المرسل، وبذلك يحتل المسند إليه مكانة الصدارة في ذهن المرسل بناء على أحداث سياقية خارجية، جعلت المسند إليه في منظور أتباع تداولية براغ ذي دينامية اتصالية عالية، من خلال ما يحمله من معلومات جديدة[1]، وهذا يعني أنّ سياق الحدث الكلامي يتحكم في ترتيب عناصر الجملة ويأثر فيها، فالاهتمام بالأبعاد التداولية يؤدي دورا فعالاً في تغيير رتبة الكلمة في الجملة.

والمنظور التداولي الّذي قدمته مدرسة براغ لمصطلح الإسناد يماثل في جزء كبير منه ما لدى النحاة العرب القدماء، فإنّ مصطلح الإسناد لديهم يقوم على أساس وظيفي جديد أطلقوا عليه " دينامية الاتصال " فالمسند لديهم ما كان معلوما لدى السامع في مقام تواصلي، والمسند إليه ما يضيفه المتكلم من معلومات جديدة تسهم في تنامي الخبر، مما يدل على جهل المرسل إليه بالمعلومات الّتي يقدمها المرسل فهي جديدة بالنسبة لمخزونه اللغوي والثقافي.

ولكي نتمكن من تحديد العناصر ذات الدينامية الاتصالية العالية في الجملة، ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل الثلاثة الآتية:

- نسق الجملة أي كيفية ترتيب الأجزاء فيها، تقديم المسند على المسند إليه أو العكس.
- السياق العام للحدث اللغوي، وأثر الأحداث الخارجية في بناء النص.
- السياق الدلالي الخاص للجملة، ودلالة الجمل من خلال سياقها وما تقدمه من معلومات جديدة. [2]

وقد حصر (أحمد فهد صالح شاهين) بعض وجوه الاختلاف بين النحاة العرب وأتباع مدرسة براغ في مفهومهم للإسناد في مجموعة من النقاط نذكر من بينها:

---

[1] ـ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص86- 88.

[2] ـ المصدر نفسه، ص87، 88.

_ يقع قبل المسند والمسند إليه أو بينهما أو بعدهما وحدة انتقالية أطلق عليها النحاة العرب اسم "متعلقات الإسناد" وهي ذات دلالة وظيفية تركيبية كالظرف والحال وأدوات النسخ والشرط، بينما تملك دلالة تداولية وقوة إنجازية لدى مدرسة براغ، إن شكلت معنى جديد يخدم سياق الحديث الخارجي، فكلما تشحن متعلقات الإسناد بمعلومات جديدة للمرسل إليه فإنّها بذلك تحقق وتجسد دلالة تداولية.

_ تختلف تداولية النحاة العرب في مراعاتها لسياق الخطاب الخارجي بين الانحراف والالتزام بأصل النسق التركيبي "النسق المحايد"، بما يخدم غاية المرسل لإتمام عملية التواصل، أمّا تداولية مدرسة براغ فقد حصرت المعنى اللغوي التداولي للتركيب بما يقدمه أحد عناصر التركيب "المسند إليه" من معلومات جديدة مرتبطة بسياق الحديث[1]، وهذا يعني أنّ المعنى التداولي يتحقق بمجرد شحن عناصر التركيب بمعلومات جديدة لا يعرفها المتلقي من قبل.

2.1 مدرسة لندن:

1.2.1 سياق الحال عند " فيرث":

سعى (فيرث) إلى دراسة اللّغة في إطار سياقها الاجتماعي، لذلك اقترح أن تدرس كجزء من المنظومة الاجتماعية[2]، حيث تقوم نظرية (فيرث) السياقية على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الّذي يتضمن الأحداث الكلامية، فلا يتضح معنى العبارات ويكون جليا إلاّ إذا روعيت الأنماط الحياتية للجماعة المتكلمة، وكذلك الحياة الثقافية والعاطفية والعلاقات الّتي تؤلف بين الأفراد داخل المجتمع[3]، فإضاءة الجوانب الاجتماعية والثقافية للأحداث الكلامية يسهم في التعرف على بنية اللغة والقدرة على تحليلها والإحاطة بكل جزئياتها.

ولكي يتمكن المحلل اللّغوي من الوصول إلى المعنى التّداولي وفق مقتضيات سياق الحال، ينبغي عليه الأخذ بالعناصر المكونة للموقف الكلامي، وهي:

_ شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير السامع والمتكلم إن وجدوا، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللّغوي، ودورهم أيقتصر على الشهود، أم يشاركون من آن لآن بالكلام؟ والنصوص الكلامية الّتي تصدر عنهم.

---

[1] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 91.

[2] _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] _شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 20.

ـ العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللّغة، والسلوك اللّغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، كحالة الجو والوضع السياسي ومكان الكلام... وكلّ ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة .

ـ أثر النص الكلامي في المشاركين كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك...

ـالأحداث اللّغوية نفسها؛ أي العبارات المنطوقة بالفعل وكيفية نطق الجملة من حيث التنغيم والنبر، وما يصاحب هذه الأحداث اللّغوية من مظاهر لغوية غير منطوقة كحركة اليدين وتعابير الوجه.

ولتوضيح عناصر الموقف الكلامي وفكرة سياق الحال وظف (أحمد فهد صالح شاهين) بين دفتي كتابه المثال الآتي:

قال (الحجاج) في خطابه الّذي ألقاه على أهل العراق عند دخوله واليًا عليهم:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوسا قد أينعت، وحان قطافها، وإني لصاحبها، والله كأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.[1]

يحتاج المحلل اللغوي ليدرك معنى قول (الحجاج) أن يعي ما وافق الخطاب اللغوي من ملابسات سياقية، جعلت مثل هذا القول ملائما في سياقه، فيعلم:

ـ شخصية المتكلم ← وصف خارجي: دخل المسجد يتبهنس* في مشيته، عليه عمامة خز حمراء، متنكبا قوسا عربيًا

وصف داخلي: قوة، بأس، شجاعة، ومكانة اجتماعية وسياسية وعسكرية استمدها من قوة شخصيته وقربه من بني أمية.

ـ إدراك أحوال المخاطب: المخاطبين هم أهل العراق وما يتمتعون به من عز وهيئة جميلة، إلاّ أنّ (الحجاج) عرفهم بصفات النفاق والشقاق ومساوئ الأخلاق، عكس أهل الشام.

---

[1] ـ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص92، 93.

*يتبهنس: البهنس: التبختر.

**وقول بعضهم حينما توقف الحجاج عن الكلام: ما يمنعه من الكلام إلا العي والحصر، هذا ما دفع (الحجاج) يسقط لثامه عن وجهه ويقول معرفا بنفسه، ومفتخر بذاته بنبرة العز والقوة ونبرة التهديد والوعيد الّتي شكلت غاية المرسل:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوسا قد أينعت، وحان قطافها، وإني لصاحبها، والله كأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى

_ أن يدرك ما **لمكان** الخطاب **وزمانه** من تأثير بالغ في تكوين الخطاب وتحليله:

عقد (الحجاج) اجتماعه الأول الّذي ألقى فيه خطابه هذا في بيت الله، هذا ما جعل الخطاب يتحلى بخصوصية تعبيرية تنبع من حرص المرسل للمحافظة على قداسة المكان الّذي يتحدث فيه.

كان خطاب (الحجاج) ملائمًا لزمن كثر فيه الفساد وعم فيه الخراب، وشاع فيه الخروج عن ولاة الأمور.

_ أن يدرك ما يدور من محاورات ثانوية بين المخاطبين، ودور تلك المحاورات في تشكيل الخطاب الرئيس، فيعلم: ما كان بين عميرة ضابئ وبين مُحَمَّد بن عمر التميمي من حوار واستهزاء بـ (الحجاج)**، ومثل مقاطعة رجل للحجاج بقوله: نعم أصلحك الله.[1]

يرى المؤلف أنّ (فيرث) في نظريته "سياق الحال" كان حريضا على دراسة اللغة في إطارها الاجتماعي، من خلال جملة من العناصر المحيطة بالحدث الكلامي، إلاّ أنّه لم يهمل دور السياق الداخلي في تحديد المعنى وتكوينه، انطلاقا من دراسة المستويات الّتي يتكون منها التركيب اللغوي كالمستوى الصوتي والمعجمي والنحوي والدلالي، حيث يجعل (فيرث) لكل مستوى من هذه المستويات محورين: محور رأسي ومحور أفقي، يختص الأول بثوابت اللغة، ويمثل الثاني العلاقات الأفقية الّتي تمتاز بالتجدد، هذا ما يجعل عملية تشكيل التركيب اللغوي تتحول إلى عملية ديناميكية ترتيبية، تبدأ من أصغر عنصر في الجملة "الحرف" حتى تصل إلى أعلى مرتبة في التكوين اللغوي "الجملة"[2]، ليحقق بذلك (فيرث) التوازي بين دراسة الحدث الكلامي والسياق الداخلي، انطلاقا من العناية بالفونيم والمونيم وصولاً إلى الجملة وفقا لمتطلبات التحليل اللغوي الصوتي والمعجمي النحوي والدلالي، وربط هذه المستويات بالسياق الخارجي الّذي أدى إلى نشوء هذا التركيب، وهذا يعني مساهمة الفكر التداولي في توضيح المعنى وتقريبه لذهن المستمع وتحقيق أغراض تواصلية معينة.

2.2.1 النحو النظامي:

ارتبط مفهوم النحو النظامي بأحد أعلام مدرسة لندن، وأبرز تلاميذ (فيرث)، الّذي وضع أسس نظرية النحو النظامي، وهو (مايكل هاليديMichael Alexander Kirkwood Halliday) [3]

[1] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 94.

[2] _ المصدر نفسه، ص 95.

[3] _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أسس النحو النظامي على فكرة تعدد وظائف اللغة Multiple Function وهذا المبدأ ينعكس على النظام اللغوي، فنجد أنّ كلّ تركيب أو بناء لغوي يؤدي وظيفة مختلفة؛ وهذا يعني أنّ مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره، هذه الوسائل ليست في الواقع سوى الاستعمالات الفعلية للنظام اللغوي، هذا التركيز على الجانب الوظيفي للغة من قبل النحو النظامي، يجعل المهمة الرئيسية الّتي ينبغي الاضطلاع بها منذ البداية هي تصنيف هذه الوظائف الرئيسية ضمن نظام نحوي يعكس بالدرجة الأولى تلك الاستعمالات، والنظام النحوي الّذي قدمه (هاليداي) عبارة عن شبكة من العلاقات المتداخلة؛ لأنّه مبني على وظائف اللغة كما تصورها. [1]

تطرق الكاتب (أحمد فهد صالح شاهين) في الفصل الثالث من كتابه إلى فكرة مشاركة (هاليداي) (فيرث) في عملية التحليل اللغوي بتقسيمها إلى قسمين:

- قسم يعتمد على البعد الداخلي للجملة وهو عند (هاليداي) على قسمين أيضا هما:

- المادة: وتعني التحقيق الحسي الملموس للعناصر اللغوية في الأصوات المسموعة، أو الصورة الكتابية "الأحرف المكتوبة" أي النظام الكلامي والنظام الكتابي، وهذا القسم يقابل المستوى الصوتي والمعجمي لدى (فيرث).
- الصيغة: أي النحو والمفردات وهي أحد الأشكال المختلفة الّتي يمكن أن تتخذها وحدة لغوية محددة، كالصيغ الفعلية نحو: كان، يكون... وهي بذلك شبيه بالمستوى النحوي والصرفي لدى (فيرث).

_ وقسم يعتمد على البعد الخارجي وهو السياق: ويعني البيئة اللغوية المحيطة بالفونيم أو المورفيم أو التركيب اللغوي، ويقابل ذلك السياق الاجتماعي لدى (فيرث)[2].

ووفقا لهذا المنظور يدرج نظام اللغة المستكن في الذهن في نماذج سياقية، ويعمل على تطويع هذه النماذج للمقامات والمواقف المختلفة، وتكون النتيجة أن أحدنا يتكلم وهو يطوع الكلمات للنظام النحوي في لغته، ومثل ذلك يقال عمن يكتب اللغة، ويحدث الانتقال بمقتضى ذلك من المقام إلى السياق الّذي يظهر في اختيار الكلمات، وتطويعها للنظام النحوي والصرفي والصوتي، على نحو ما هو مبين في الشكل التالي:

[1] _ يحي أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر 1989م، ص657، 658.

[2] _ أحمد فهد صالح شاهين : المصدر السابق، ص 96.

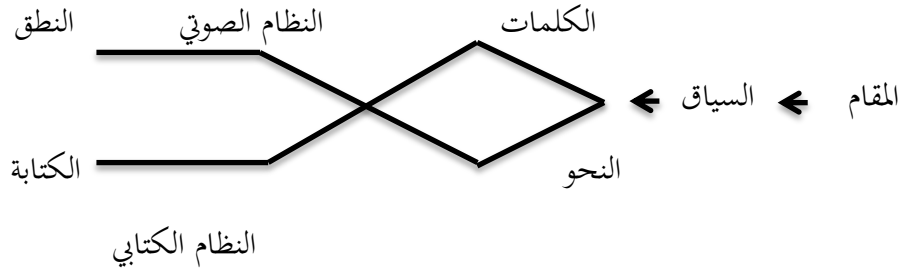

[1]

الخطاطة رقم (01): كيفية اختيار الكلمات وفقا انظام اللغة انطلاقا من المقام والسياق.

فحين نقول مثلا: (بكى الطفل) فهي عبارة عن جملة تكونت نتيجة لاجتماع مجموعة من العناصر اللغوية "الكلمات" المؤلفة من مجموعة من "الفونيمات" المتحد بعضها مع بعض بطريقة عرفية لا عقلية، وقد ارتبطت تلك الكلمات بعضها مع بعض وفق قواعد تركيبية "نحوية صرفية" ضبطت بنيتها الداخلية بحيث أوكل لكل عنصر من عناصر التركيب اللغوي وظيفة دلالية، ففي الجملة السابقة مثلا أسندت القواعد التركيبية وظيفة "الفعل" للكلمة الأولى، ووظيفة "الفاعل" للكلمة الثانية، وإذا كنا قد ألفنا القول بأنّ كلمة "بكى" في الجملة: (بكى الطفل) وكلمة "انفجر" في الجملة: (انفجر الوضع الأمني في لبنان) تدلان على فعل ماض مبني على الفتح، وهما فعلان لازمان فاعلهما اسم ظاهر "الطفل و"الوضع الأمني" فإنّ (هاليداي) خرّج التراكيب السابقة وفق نظرية النحو النظامي بطريقة جديدة تربط الوظيفة الدلالية بعنصر **النشاط والمشارك**[2] مثل ما هو موضح في الجدول الآتي:

النشاط	المشارك	نوع النشاط	اسم المشارك
بكى	الطفل	بكى ← نشاط يدل على حركة	الطفل ← مشارك عامل
انفجر	الوضع الأمني في لبنان	انفجر ← نشاط دل على حدث	الوضع الأمني في لبنان ← مشارك متأثر

الجدول رقم (01): أمثلة توضح فكرة النشاط ونوعه واسم المشارك

فالنشاط يمثله الفعل والمشارك واحد هو عبارة عن الاسم سواء كان عاقلا أم جامدا، والمشارك الّذي يرتبط مع نشاط يدل على حركة يسمى "عامل Actant" أمّا المشارك الّذي يدل يرتبط مع نشاط يدل على حدث فنسميه "متأثر Patient" ، وحينما يقتصر النشاط على العامل أو المتأثر فهو "نشاط قاصر " أمّا حينما ينطلق النشاط من العامل ولا يتوقف عنده بل يتجاوزه إلى عنصر ثان في الجملة فهو نشاط مجاوز، وهذا ما يبرز بوضوح من خلال المثال الآتي:

[1] _سمير شريف أستيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، أربد، ط2، 2008م، ص204.

[2] _ أحمد فهد صالح شاهين : المصدر السابق، ص 96، 97.

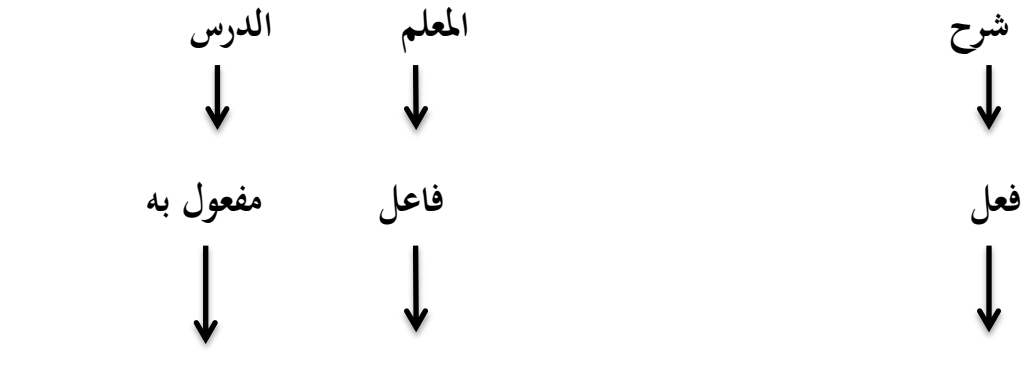

[1]

وعليه نصل إلى ما جاء به (هاليداي) لم يختلف عن ما ورد في الفكر العربي القديم من أفكار وتقسيمات، فقد حافظ على المنطلقات النحوية الّتي ميزت التراث النحوي القديم، وأدرجها في قوالب جديدة بمصطلحات مغايرة تبدو للوهلة الأولى مختلفة تماما عن التقاليد العربية، لكنها في الأصل تنبع منها.

3.2.1 الاتجاه الوظيفي لدى " هايمز":

حصر (نعوم تشومسكيAvram Noam Chomsky) في نظريته التوليدية التحويلية قدرة الفرد على إنتاج التراكيب اللّغوية، بما يملكه من قواعد نحوية تمكنه من توليد عدد من الجمل[2]، فالقدرة هي المعرفة اللّغوية الّتي يدخلها كلّ فرد متكلم بلغة معينة في شكل قواعد، وتمكنه من إنتاج ما لا حصر له من الجمل النحوية الّتي لم يسبق له أن أنتجها، ومن تأويل / فهم جمل لم يسبق له أن سمعها، إنّ كلّ متكلم يملك آلية مولدة بكيفية واضحة ومحددة للجمل النحوية في لغة معينة إنتاجا وتأويلا صحيحين، إنّ هذه المعرفة الضمنية بقواعد اللّغة هي ما يسميه (تشومسكي) "القدرة اللّغوية Compétence Linguistique"[3]، الّتي تدل على كفاءة المتكلم على إنتاج ما لا حصر له من الجمل والحكم على صحتها، سواء كانت مخزنة في الذهن أو جديدة يستمع إليها لأول مرة ولم ينطبق بها أبدا.

لقد قصر (تشومسكي) معرفة الفرد بلغته على الملكة الذهنية الّتي سماها "القدرة" وعلى الجانب التنفيذي الّذي سماه " الأداءPerformance " وهو الاستعمال الفعلي للغة، على نحو ما هو موضح في الشكل التالي:

---

[1] _ أحمد يحي: المرجع السابق، ص 658.

[2] _أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 101.

[3] _مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص 41.

الخطاطة رقم (02): ثنائية القدرة والأداء لدى (تشومسكي) [1]

غير أنّ (ديل هايمزDell Hymes) أنكر هذه الفكرة، وحاول أن يربط القدرة اللّغوية بالجانب الاجتماعي، واقترح أن تستبدل "القدرة" بفكرة "**القدرة على الاتصال**"[2]، فما يتميز به الفرد المتكلم هو امتلاكه لقدرة أكبر وأشمل وأكثر وظيفية مما يقترحه النحو التوليدي، وهي (**القدرة التواصلية** Compétence Communicative) الّتي تمكن من القدرة على إنتاج وفهم ما لا حصر له من الجمل النحوية، بل تتعلق باشتغال السلوك اللغوي في شموليته وواقعيته، وهي مختلف السياقات والمقامات الممكنة لتحقيق كل أغراضه التواصلية في أبعادها الفردية والجماعية[3]، لذلك يرى (هايمز) أنّ تعريف (تشومسكي) للقدرة اللغوية تعريف ضيق لا يناسب الطبيعة الاجتماعية للغة، وهذا ما جعله يقترح أن تستبدل بفكرة " القدرة على الاتصال Communication Compétence " لأنّ اللغة وسيلة اتصال في المجتمع، ومن ثم فإنّ أي حديث عن قدرة المرء على اللغة ينبغي أن يربط باستعمال اللغة في بيئة ثقافية حضارية معينة[4]؛ وهذا يعني أنّ (هايمز) حافظ على فكرة القدرة وأضاف إليها البعد الوظيفي، فأخرجها من إطارها المجرد إلى الاستعمال والتداول، وهنا يبرز بوضوح أثر الدراسات التداولية على تعديل وضبط الفكر الغربي، وإدراج الجانب الوظيفي لخدمة اللغة ومستعمليها.

---

[1] _ يحي أحمد : المرجع السابق، ص 662.

[2] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 101.

[3] _ مصطفى غلفان وآخرون: المرجع السابق، ص49.

[4] _يحي أحمد: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وفي نفس الصدد تطرق الناقد الجزائري (رشيد بن مالك) في قاموس (مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) إلى مصطلح (كفاءةCompétence Competence) من منظور (تشومسكي) قائلا: «يسمي تشومسكي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللّغة بالكفاءة اللّغوية، إنّها المعرفة الضمنية للغة الّتي يمتلكها المتكلم والسامع، وهي نظام داخلي من القواعد الّتي تمكن الجهاز المحدود من إنتاج وفهم عدد لا محدود من الملفوظات» ويضيف قائلا: «ويفهم من الكفاءة التّواصلية المعرفة للقواعد السيكولوجية والثقافية والاجتماعية الّتي توجه الكلام في إطار اجتماعي، تكمل الكفاءة التّواصلية الكفاءة النحوية للفاعل المتكلم»[1] أي أنّ المتكلم يمتلك جهاز مكوّن من عدد محدود من الحروف والكلمات، الّتي يستطيع من خلال ترتيبها وفق قاعدة معينة من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل، الّتي يربطها بإطارها الاجتماعي لتحقيق الكفاءة التّواصلية، فيتحول المتكلم إلى سامع يفهم ما يتلقاه ضمن الدورة التّواصلية وفق سياق وبيئة ثقافية واجتماعية معينة.

كما حدّد مؤلّف معجم (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب) تعريف مصطلح (الملكة/ الكفاءة Compétence) في قوله :«لقد شحذ هذا المفهوم تشومسكي، وهذا للدلالة على القدرة الّتي يتمتع بها الناطقون بلغة ما، والّتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل الجديدة، غير أنّه لا يمكننا في مجال تحليل الخطاب الاكتفاء بهذه الملكة النحوية، ذلك أنّه تنضاف إليها الملكة التّداولية الّتي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى سياق بعينه»[2] وبناء على ذلك تعدّ الملكة التداولية ركن وجزء جوهري يدعم الملكة النحوية، فتشكل بذلك التجسيد الفعلي لها في سياق معين.

وقد أضاف اللّسانيّ (مُحَمَّد الحسين مليطان) في معجمه فكرة التواصل من منظور (النحو الوظيفي) في تعريفه لمصطلح (قدرة Compétence) كالآتي :«معرفة المتكلم للقواعد الّتي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة، والقدرة في النحو الوظيفي هي قدرة تواصلية تشمل القواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد الصّوتيّة والقواعد التّداولية»[3]ففي (النحو الوظيفي) الغرض من القواعد بالدرجة الأولى تحقيق التّواصل أو القدرة التّواصليّة؛ أي القدرة على إنتاج وفهم الجمل الّتي يستقبلها المتكلم السامع، وتشمل هذه القواعد البنية التركيبية والجوانب الدلالية، والصوّتيّة بالإضافة إلى القواعد التّداوليّة الّتي تسمح باستعمال اللّغة في مواقف تواصلية معينة.

---

[1] _ رشيد بن مالك :قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، ط1، 2000م، ص39.

[2] _ دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: مُحَمَّد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص 22، 23.

[3] _ مُحَمَّد الحسين مليطان: نظرية النحو الوظيفي الأسس والنماذج والمفاهيم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014م، ص 116.

يرى صاحب الكتاب أنّ النموذج الوظيفي الّذي اقترحه (هايمز) والّذي يقوم على فكرة "القدرة على الاتصال" ، يتشكل وفق مظاهر أربعة هي:

ـ إلى أي حد يكون الشيء **ممكنًا** نحويًا، وهذا المظهر يشير إلى إمكانيات اللّغة وانفتاحها، ويلتقي (هايمز) في محوره الأول في حديثه عن القدرة اللّغوية للفرد، مع ما جاء به (تشومسكي) من حيث الاهتمام بالجانب النحوي وقدرته على تشكيل عدد كبير من الجمل الصحيحة، والّتي تعطي المرسل حرية التعبير، بأن يختار من جملة التراكيب ما يلائم غاية التواصل.

ـ إلى أي حد يكون الشيء **معقولاً** استنادا إلى وسائل التنفيذ المتاحة، والتركيز هنا على الجوانب النفسية الّتي نستخدمها في تنفيذنا للغة، مثل الذاكرة، والتخطيط الذهني للكلام والفهم، فإنّ أي عملية تعبير لغوي تخضع لمجموعة من القواعد الذهنية، والتخطيطات العقلية بحيث تنتج نصا لغويًا ملائمًا لطبيعة القواعد التركيبية من ناحية، ولطبيعة الموقف الكلامي من ناحية أخرى.

ـ إلى أي حد يكون الشي **مناسبًا**، وذلك ضمن السياق الّذي يستعمل فيه هذا الشيء، وهذا يشير إلى فكرة الأساليب والاستعمالات اللّغوية الّتي يلجأ مستخدم اللّغة إليها، في الظروف المختلفة متخذا لكل حالة ما يناسبها من مفردات وطريقة التعبير مع مراعاة الأعراف والتقاليد الاجتماعية.

ـ إلى أي حد يكون الشيء **قد أنجز**؛ أي ماذا نطق المتكلم من عبارات وجمل؟، وماذا سيتتبع هذا النطق من سلوك؟، وهذا المظهر يتكلم عن محوري المتكلم والمتلقي في آن واحد.[1]

وعليه يعدّ مجموع القواعد الضمنية الّتي يتوافر عليها المتكلم وتجعله قادرا على إنتاج وتأويل ما لا نهاية من الجمل النحوية، مظهرا مشتركا بين (تشومسكي) و(هايمز)، يحيل على **الإمكانات** الّتي تسمح للمتكلم السامع باختيار التراكيب المناسبة لتحقيق التواصل في مواقف كلامية معينة، وفق قواعد ذهنية **وتخطيطات عقلية** تجعل المتكلم ينتج نصا **مناسبا** للظروف والأعراف والتقاليد الاجتماعية، الّذي يتجسد في شكل عبارات وجمل تبرز في شكل سلوك يظهر على المتكلم والمستمع أو المتلقي، أو ما يعرف **بالإنجاز** الفعلي للقواعد الضمنية الّتي يمتلكها المتكلم وما يتنج عنه من ردود الفعل لدى المتلقي.

واستخلاصا لما سبق نصل إلى أنه لم يعد مفهوم " القدرة" مقصورا على المعرفة الضمنية بقواعد اللغة وتوليد عدد لا متناهي من الجمل، وإنما أدخلت فيها اعتبارات وظيفية جعلته يشمل أمورا أخرى من بينها:

ـ أنّه يفسح المجال لعنصر النية أو القصد في التعبير، فقد يستعمل المتكلم في موقف ما جملة تبدو من حصيلة مفرداتها أنها جارحة أو تنطوي على إهانة، ولكن المتكلم يقصد بها المزاح أو الدعابة في ذلك الظرف.

---

[1] ـ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 101، 102.

_ أنّه يؤكد على أهمية التقاليد الاجتماعية والأعراف والموروثات الشعبية في استعمالنا للغة وفهمها وتحليلها[1]؛ وهذا يؤكد على مدى تأثير التّداولية والبعد الوظيفي في الفكر النحوي المعاصر، من خلال ربط القواعد اللغوية بفكرة القصدية في التعبير واستعمالها وفق التقاليد الاجتماعية.

3.1 النحويون الجدد:

أطلق هذا المصطلح على مرحلة متأخرة من مراحل الدرس التّداولي، أعقبت ما عرف باسم "الوظيفيون المتقدمون"، والّذي خصص لأتباع مدرسة "براغ" ومدرسة " لندن"[2]، نشط هذا الاتجاه في السبعينيات وحدّد هؤلاء الوظيفيون العلاقات بين العناصر في التركيب انطلاقا من الوظيفة الّتي يسندها المتكلّم لوحدات القول، ووفقا للتغيرات الطارئة فهم يرون أن تجسيد الوظيفة يتم عبر الإسناد المنطقي، وجمع هؤلاء الوظيفيون بين المرتكزات النظرية للفكر الوظيفي والمنطق الصوري[3]، وقد مثل هذا الاتجاه العديد من اللغويين التّداوليين في جامعات هولندا وألمانيا وبلجيكا وغيرهم من علماء اللغة، برز من بينهم ("سيمون ديك") صاحب نظرية النحو الوظيفي.

اعتمد (سيمون ديكDick Simon) في نظريته النحو الوظيفي لمعالجة التراكيب اللغوية وتحليلها على مبدأ تقسيم التراكيب على ثلاثة مستويات في التحليل، لكل منها مجاله ومصطلحاته وهي:

	أكل	**مُحَمَّد**	**التفاحة**
❖ المستوى النحوي:	فعل	فاعل	مفعول به
❖ المستوى الدلالي:	فعل	عامل	هدف
❖ المستوى التداولي:	مسند	متمم	
	أو موضوع	بؤرة	

[4]

وقد أشار (أحمد فهد صالح شاهين) إلى أنّ تكوين التراكيب اللّغوية تبعًا لمستويات التحليل الّتي قدمها (ديك) يتم بواسطة بنيات ثلاث هي:

---

[1] _ يحي أحمد: المرجع السابق، ص 662، 663.

[2] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 102.

[3] _ خليل غازي مُحَمَّد أبو عفيفة: التراكيب النحوية بين الشكلانية والوظيفية، ماجستير في اللغويات العربية، جامعة الهاشمية، 2004م، ص 89.

[4] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص102، 103.

- البينة الحملية الدلالية.
- البنية الوظيفية.
- البنية المكونية.[1]

ويتكفل ببناء هذه البنيات ثلاث أنساق من القواعد (أو ثلاثة مكونات):"**الأساس**" و"**قواعد إسناد الوظائف**" "**وقواعد التعبير**" وتقوم هذه الأنساق القاعدية بوظيفتها على النحو الآتي:

يُمِدُّ **الأساس** (الّذي عبارة عن خزينة للمفردات) باقي قواعد النحو بمصدر الاشتقاق، وهو مدخل معجمي (أصل أو مشتق) ممثل له في شكل إطار محمولي، يرصد الخصائص الدلالية والتوزيعية للمفردة، ويُنْقل هذا الإطار المحمولي إلى "بنية حملية" تامة التحديد بإجراء توسيعه (أي إضافة الحدود اللواحق)، هذه البنية تُتَّخذُ دخلا لقواعد إسناد الوظائف، فتُحدّد "الوظائف التركيبية" (الفاعل والمفعول) أولاً، ثم الوظائف التّداولية (المحور والبؤرة) فيُحصل على بنية وظيفية، في هذه البنية تتوافر المعلومات الدلالية والتّداولية الّتي تستلزمها قواعد النسق القاعدي الثالث، قواعد التعبير، هذه القواعد فئتان اثنتان: قواعد تحدّد الصورة الّتي تحقق فيها عناصر البنية (قواعد صرفية، قواعد إسناد الحالات الإعرابية، قواعد إدماج المعلقات) وقواعد تحدّد رتبة هذه العناصر (قواعد الموقعة)، والبنية الناتجة عن تطبيق قواعد التعبير هذه تُتّخذُ دخلا للقواعد الصوتية الّتي يتم بواسطتها إسناد التأويل الصوتي.[2]

إنّ التّواصل بوجه عام يقتضي من حيث المكونات ثلاث بُنى متضافرة هي: البنية التّداولية الّتي تحكمها طبيعة التّواصل وشروط الأداء، ثم البنية المكوّنية وتحدّدها العلاقات القائمة بين الوحدات اللّسانيّة للبنية، وتليها أخيرا البنية الدلالية الّتي يحدّدها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقا ومقاما[3]، أمّا من حيث المراحل فيمكن افتراض أنّ التواصل يتم انطلاقا من البنية التّداولية وانتهاء بالبنية المكونية مرورا بالبنية الدلالية، في حالة الإنتاج، على أن يتخذ الاتجاه العكسي في حالة التأويل.[4]

يرى صاحب كتاب (النظرية التّداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة) أنّ البنية الحملية تتكون من أطر حملية : " **أصول**" كالفعل، وأطر "**حدود**" هي سائر الكلمات في الجملة، وباستخدام قواعد تكوين المحمولات يتم تكوين أطر

---

[1]_ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 104.

[2]_أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار الهلال العربية، الرباط، ط1، 1993م، ص 6.

[3]_خليفة بوجادي: في اللسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص119.

[4]_أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003م، ص73.

حملية "**نووية** " تشتمل على الحدود والموضوعات، أمّا الحدود اللواحق فتكونها قواعد توسيع الأطر الحملية، ثم قواعد إدماج الحدود في المحمولات وفقا لقيود الانتقاء، ليتم بذلك تكوين البنية الحملية الّتي تتضمن الوظائف الدلالية[1]، وتروم نظرية النحو الوظيفي إحراز الكفاية التّداولية الّتي تفرض عليها أن تستكشف خصائص العبارات اللّغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ الّتي تحكم التواصل اللغوي.[2]

وقد قدم (ديك) في نموذجه النحو الوظيفي أربعة وظائف تداولية وهي:

- ✓ المبتدأ: وهو عند (ديك) ما يحدد مجال الخطاب.
- ✓ الذيل: يحمل معلومة توضح معلومة داخل الجملة أو تعدلها.
- ✓ المحور: وهو المحدث عنه داخل الجملة.
- ✓ البؤرة: وهي المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزا في الجملة.[3]

تختلف النظريات الوظيفية بالنظر إلى تحديد نوعية وعدد الوظائف التّداولية، حيث يصنف (ديك) هذه الوظائف صنفين: "وظائف تداولية داخلية" "ووظائف تداولية خارجية"[4]؛ ومجموع الوظائف الّتي اقترحها (ديك) أربع وظائف: المبتدأ (Theme) والذيل (Tail) والبؤرة (Focus) والمحور (Topic) ، ويعتبر الوظيفيتين الأوليين وظيفتين خارجيتين بالنسبة للحمل، ويعتبر الوظيفتين الثانيتين وظيفتين داخليتين، وقد أضاف اللساني المغربي (أحمد المتوكل) وظيفية خامسة حدّدها في قوله: «ونقترح شخصيا أن تُضاف إلى الوظيفتين التداوليتين الخارجيتين وظيفة "المنادى" الّتي نعتبرها واردة بالنسبة لنحو وظيفي كاف لا لوصف اللغة العربيّة فحسب بل كذلك لوصف اللغات الطبيعية بصفة عامة، وإذا أخذنا بهذا الاقتراح تُصبح الوظائف التداولية خمس وظائف».[5]

وعليه يعدّ النحو الوظيفي أهم رافد للدرس التّداولي إلى جانب الفلسفة والنظريات اللّسانيّة الحديثة، كما أنّ النحو الوظيفي المقترح من (سيمون ديك) في السبعينيات يجمع بين المقولات النّحوية المعروفة وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام، وإذا عُدّ تداول اللّغة مظهرا من مظاهرها إلى جانب المعجم والتراكيب، فإنّه يمكن القول إنّ النّحو الوظيفي وهو

---

[1] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 104.

[2] _أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012م، ص 28.

[3] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 103، 104.

[4] _ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001م، ص 110

[5] _أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص17.

يحدّد أهدافه في تحقيق كفاية نفسية وكفاية تداولية وكفاية نمطية، يقدم دعائم هامة للتفسير التداولي للخطاب[1]، وقد أشار (ديك) مرارا إلى ضرورة إدراج النحو الوظيفي في إطار أعم كان يسميه "النظرية التّداولية الوُسعى" [2]

واستنادا إلى ما تم ذكره يصل الباحث (أحمد فهد صالح شاهين) إلى أنّ تكوين الجملة في النحو الوظيفي يختلف عما ألفناه في نحونا العربي، من حيث المسميات فقط، فإن كانت الجملة في النحو العربي تتكون من: "فعل وفاعل ومفعول به وفضلة" فإنّ (ديك) قد أطلق على عناصر تكوين الجملة الحدود "محمول" وهو الفعل، و"الموضوعات" وهي الفاعل والمفعول به، و"اللواحق" وهي الفضلات.[3]

2 أثر النظرية التّداولية في الدراسات العربية:

كانت البدايات الأولى للممارسة التّداولية في النحو العربيّ لدى النحاة العرب المحدثون، من خلال ما جاءوا به في تصنيفهم لأقسام الكلام العربي من حيث الشكل الوظيفي لعناصر التركيب اللغوي[4]، وقد اختار مؤلف كتاب (النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة) توضيح أثر النظرية التداولية على الدراسات العربية من خلال أبرز أعلامها في العصر الحديث، من بينهم (أحمد المتوكل) و(تمام حسان) بالإضافة إلى (جعفر دك الباب).

1.2 أحمد المتوكل:

يرى (أحمد فهد صالح شاهين) أنّ نموذج (أحمد المتوكل) "الوظائف التداولية في اللغة العربيّة" الّذي قام من خلاله بوصف العربية من وجهة نظر تداولية وظيفية، من أكثر النماذج تحقيقا لمتطلبات تحليل التداولية اللغوية، من خلال تقسيمه لعناصر تكوين الجملة في اللغة العربية إلى قسمين[5]:

- الوظائف التداولية الداخلية: البؤرة والمحور.
- الوظائف التداولية الخارجية: المبتدأ والذيل والمنادى.

---

[1] _خليفة بوجادي: المرجع السابق، ص 126، 127.

[2] _ أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص 56.

[3] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 105.

[4] _ المصدر نفسه، ص107.

[5] _ المصدر نفسه، ص109.

_ وظيفة البؤرة: Focus

التعريف السائد في النحو الوظيفي للبؤرة هو ما اقترحه (سيمون ديك) والّذي يقوم على أساسا على فكرة أنّ وظيفة البؤرة تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزًا في الجملة[1]، تعتمد البؤرة في إسناد وظيفتها لأحد مكونات الحمل على سياق المقال الخارجي، والّذي تحكمه عملية تخابرية بين طرفي الخطاب، بحيث يشكل العنصر الجديد في الجملة "المقال" بؤرة هذه الجملة، حيث دلّ سياق الحديث في الجملة الآتية على جهل المخاطب بوقت العودة بين اليوم والبارحة، فجاء المقال ليزيل هذا الشك، بأن جعل كلمة "البارحة" حاملة لمعلومة جديدة يجهلها المخاطب في سياق تخابري محدد.

السياق: متى عاد زيد من السفر؟

الجملة: عاد زيد من السفر البارحة. [2]

ومن حيث طبيعة وظيفة البؤرة ميز (أحمد المتوكل) بين نوعين من البؤرة: "بؤرة الجديد" و"بؤرة المقابلة"، ومن حيث المجال ميز بين "بؤرة المكون" و"بؤرة الجملة".[3]

_ وظيفة المحور: Topic

تسند وظيفة "المحور" إلى المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه داخل الحمل[4]، فالمحور وظيفة تداولية داخلية تقوم بتكثيف اهتمام المرسل والمخاطب على عنصر من عناصر الحمل في وضع تخابري وطبقة مقامية محددة، بحيث تجعل منه مدار اهتمام المرسل والمخاطب، فكلمة "زيد" في المتالين الآتيين يشكل محور اهتمام المتكلم والمخاطب، وبذلك اكتسبت العلامة اللغوية "زيد" وظيفة المحور:

_ متى رجع زيد

_رجع زيد البارحة.

---

[1] _ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 28.

[2] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص109، 110.

[3] _ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 28.

[4] _ المرجع نفسه، ص 69.

وما جاء به المتوكل في حديثه عن المحور يشاطر في جزء كبير منه حديث النحاة العرب القدماء عن المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية والفعلية، فلا يتم معنى المبتدأ في الجملة الاسمية ولا يعطي فائدة محدّدة إلاّ بالإخبار عنه بالمسند إليه، أمّا في الجملة الفعلية فإنّ فعلها يبقى قاصرا في ذاته ما لم يتم إسناد فاعل له.[1]

_ وظيفة المبتدأ:Theme

المبتدأ هو ما يحدّد مجال الخطاب الّذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا[2]، مثال ذلك:

_ زيد قام أبوه.

مبتدأ حمل

فهذه الجملة من منظور (المتوكل) تتكون من ركنين أساسيين، أسند لكل منهما وظيفة تداولية بحكم الوضع التخابري القائم بين المرسل والمتلقي[3]

_ وظيفة الذيل:

يحمل الذيل المعلومة الّتي توضح معلومة داخل الحمل أو تُعدّلها أو تُصحِّحها[4]، وتعدّ وظيفة الذيل في منهج التحليل التداولي وظيفة تداولية خارجية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ✓ **ذيل توضيح:** يهدف إلى توضيح وكشف اللبس الحاصل داخل الحمل؛ أي تقديم إضافات توضيحية، مثال ذلك: أبوه مسافر، زيد.
- ✓ **ذيل التعديل:** يقوم بوظيفة تعديلية هادفة إلى تعديل معلومة داخل الحمل، مثال ذلك: قرأت الكتاب مقدمته.
- ✓ **ذيل التصحيح:** يهدف إلى تصحيح المعلومة داخل حمل الجملة، مثال ذلك: قابلت اليوم مُحَمَّدا، بل عليا.

وتماشيا مع ما تم ذكره استخلص صاحب كتاب (النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة) أنّه يمكن تأصيل وظيفة الذيل لدى (المتوكل) وذلك بمقابلتها بما جاء به النحاة العرب القدماء المعروف باسم "البدل"، فلو قارنا بين

---

[1] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص113، 114.

[2] _أحمد المتوكل: المرجع السابق، ص 115.

[3] _أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 115.

[4] _ أحمد المتوكل : المرجع السابق، ص 147.

الوظائف الثلاث للذيل (التوضيح والتعديل والتصحيح) وأنواع البدل (بدل المطابق، وبدل البعض من الكل، وبدل الاشتمال) وجدنا أنها تتفق مع اختلاف في المسميات.[1]

_ وظيفة المنادى:

وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين، لذلك تعدّ وظيفة تداولية تجعلنا نميز بين النداء كفعل لغوي شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار، والاستفهام والأمر والوعد والوعيد، والمنادى كوظيفة أي علاقة تُسند إلى أحد مكونات الجملة[2]، ويرى المؤلف أنّ (المتوكل) قد اعتمد على أدوات النداء الّتي حصرها النحاة العرب القدماء، إلاّ أنه في عملها اشترط أن تحيل على كائن حي، وأن يكون المكون المنادى محيلا على مخاطب.[3]

واستنادا إلى ما سبق ذكره وصل (أحمد فهد صالح شاهين) إلى أنّ ما جاء به (المتوكل) من تحليل تداولي لمكونات التركيب اللغوي الداخلية والخارجية مخالفا لما عرف لدى النحاة العرب في المسميات ومطابق له في الإعراب[4]، وهذا ما وضحه (أحمد المتوكل) في قوله: « سنقترض في وصفنا لهذه الوظائف كلما دعت الحاجة إلى ذلك، تحليلات ومفاهيم من الفكر اللغوي العربي القديم نحوه وبلاغته»[5]

2.2 تمام حسان:

يرى الباحث (أحمد فهد صالح شاهين) أنّ (تمام حسان) نهج في نموذجه (اللغة العربية معناها ومبناها) منهجا وصفيا وظيفيًا في تحليل التراكيب اللغوية للوصول إلى المعنى الّذي جعله غاية الدرس اللغوي، وقد قسم المعنى في نموذجه إلى ثلاثة أقسام:

_المعنى الوظيفي.

_المعنى المعجمي.

---

[1] _أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 117.

[2] _ أحمد المتوكل : المرجع السابق، ص 161.

[3] _ أحمد فهد صالح شاهين : المصدر السابق، ص 118 .

[4] _ المصدر نفسه، ص 121.

[5] _ أحمد المتوكل : المرجع السابق، ص10.

_المعنى الاجتماعي "المقام"[1]

ولكي يتمكن المحلل اللغوي من الوصول إلى معنى التركيب اللغوي، وجب عليه أولا تحليل عناصر السياق الداخلي اعتمادا على مستويات النظام اللغوي: النظام الصوتي والصرفي والنحوي، ثم ينتقل بعد ذلك إلى سياق التركيب الخارجي فينظر في حال المتكلم والسامع أو السامعين، والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر، ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات، حتى يتمكن من تحديد المعنى المراد، فلا يمكن تحقيق ذلك بالاعتماد على مستويات النظام اللوي وحدها، دون اقترانها بملابسات السياق الخارجي، وهنا يبدو بوضوح تأثر (تمام حسان) بنظرية سياق الحا لدى (فيرث) وقد أطلق عليها _تمام_ المقام، وجعل السياق اللغوي موازيا له، وأطلق عليه المقال.

قدم (تمام حسان) تصنيفا وظيفيا لأقسام الكلم في اللغة العربية، اعتبر من أكثر النماذج تطبيقا لمنهج التحليل التداولي من حيث تقسيمه لعناصر التركيب اللغوي، فقد جاء تقسيمه على سبعة أقسام هي: الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة والظرف والأداة.

نظر (تمام حسان) إلى اللغة العربية نظرة ثنائية تقوم على أساسين اثنين: المعنى والمبنى، واعتمد عليها في تصنيفه لأقسام الكلم في اللغة العربية، وقد رأى أنّ المبنى يقوم على جملة من الأسس أطلق عليها القرائن اللفظية وهي: الصورة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، الجدول، الإلصاق، التضام، الرسم الإملائي، أمّا القرائن المعنوية فقد رأى أنها تشتمل على: التسمية، الحدث، الزمن، التعليق والمعنى الجملي.[2]

3.2 جعفر دك الباب:

انطلق (جعفر دك الباب) في تحليله الوظيفي للجمل في اللّغة العربيّة من أساس تكوينها التركيبي "المسند والمسند إليه" على خلاف ما عرف عند أتباع المنهج التداولي في مدرسة براغ، فقد اشترط في تحليل الجمل وظيفيا أن يميز في بنيتها من الناحية النحوية بين جزئين ينفصل أحدهما عن الآخر، فإن كانت الجملة في اللّغة العربيّة تقوم على أساس إسناد اسم إلى اسم أو فعل إلى اسم، فإنّ (جعفر دك الباب) حاول التجديد في باب التحليل الوظيفي، من خلال ما جاء به من دراسة لأقسام التركيب الإسنادي " الفعل والفاعل والمبتدأ "

فالفعل من منظور (جعفر دك الباب) يستخدم في اللّغة العربيّة على طريقتين:

[1] _ أحمد فهد صالح شاهين: المصدر السابق، ص 121.

[2] _ المصدر نفسه، ص122.

_أطلق على الطريقة الأولى اسم " **استخدام مطلق للفعل**": وذلك حين يكون مع صيغة الفعل ضمير رفع بارز أو مستتر كما في: قرأت أو نقرأ.

_أمّا الصيغة الثانية فهي " **استخدام غير مطلق للفعل**" وذلك حين لا يكون مع صيغة الفعل ضمير رفع بارز أو مستتر كما في: "قرأ" في بداية السياق الكلامي.[1]

خاتمة:

بعد تتبعنا لمدى تأثير النظرية التّداولية في الفكر اللغوي المعاصر من خلال تحليلنا لبعض المحطات الواردة في كتاب (أثر النظرية التّداولية في الدراسات النحوية المعاصرة)، خلص البحث إلى تسجيل وتأكيد جملة من الملاحظات والنتائج نوجزها كالآتي:

_ إنّ التركيز على الأبعاد التداولية في تحليل الأحداث الكلامية والتراكيب اللغوية أدى إلى العناية بالسياق الخارجي والظروف الّتي تؤدي إلى تحقيق التواصل المثمر الفعال، دون إهمال السياق الداخلي وما يضمه من مستويات أسهمت في فهم المعنى وتوضيحه.

_تعدّ الوظائف التداولية جسرا ينشئ حوارا بين الفكر العربي القديم والدرس اللساني الحديث.

_ تمكنت بعض الدراسات الغربية والعربية من استثمار التداولية لإحياء مفاهيم عربية قديمة، وإقحامها في ثوب جديد يكتسي حلة ميزتها المصطلحات الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

_ أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015م.

_أحمد المتوكل:

_ الوظائف التداولية في اللغة العربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1985م.

_ آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار الهلال العربية، الرباط، ط1، 1993م.

[1] _ المصدر نفسه، ص 131.

_ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001م.

_ الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003م.

_ اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012م.

_خليفة بوجادي: في اللسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م.

_دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: مُحَّد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.

_ رشيد بن مالك :قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، ط1، 2000م.

_ سمير شريف أستيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، أربد، ط2، 2008م.

_ شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

_ مُحَّد الحسين مليطان: نظرية النحو الوظيفي الأسس والنماذج والمفاهيم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014م.

_ مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

المقالات:

_ يحي أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر 1989م.

الأطروحات:

_ خليل غازي مُحَّد أبو عفيفة: التراكيب النحوية بين الشكلانية والوظيفية، ماجستير في اللغويات العربية، جامعة الهاشمية، 2004م.